النقد الثقافي في المشروع الإصلاحي عند الشيخ محمد عبده

أ. عبد النور فتيحة
المدرسة العليا للأستاذة ،بوزريعة، الجزائر

الملخص:

يعالج هذا المقال الجانب النقدي في المشروع الإصلاحي عند الشيخ محمد عبده من خلال نقد الفهم السائد للدين، وكذا نقد مناهج التربية وطرق التعليم. وهذا المشروع جاء وفق منظور ديني منفتح على النظر العقلي، ففي الجانب الديني نقد محمد عبده التقليد والجمود وفتح باب الاجتهاد بهدف تبديد الأوهام، ويرى بأن الدين هو الحافز الرئيسي للعمل والمصدر الأساسي للوحدة والتعاون، أما في مجال التربية والتعليم فقد نقد البرامج التعليمية القديمة ودعا إلى إحداث برامج تنهض بالأمة وكذا القضاء على ملامح الظلم والاستبداد الذي شهده الفكر الإسلامي والعربي زمنا طويلاً.

Résumé

Cet article traite un aspect critique pour le projet de réforme chez Cheikh Mohammed Abdou par la critique compréhensive dominante de la religion, ainsi que la ritique des méthodes éducatives et les méthodes d'enseignements. Ce projet a été mis en conformité avec l'ouverture perspective religieuse à la perspective intellectuelle. Dans l'aspect religieux, Mohammed Abdou a critiqué la tradition et de ce qui inerte, et il a ouvrit la porte pour la jurisprudence (l'ijtihad) afin de dissiper les idées fausses, et voit que la religion soit la principale incitation au travail et la principale source d'unité et de coopération, Alors que dans le domaine de l'éducation et l'enseignement a été critiqué les programmes éducatifs anciens et a été appelé à la création des programmes de promouvoir la nation, ainsi que l'élimination des caractéristiques de l'injustice et de la tyrannie qui ont manifesté la pensée arabe et islamique depuis longtemps.

مقدمة

ظهر في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، مجموعة من المفكرين تناولوا الثقافة في إطار القضايا الكبرى التي مَرَّ بها المجتمع العربي الإسلامي، وعالجها أكثرهم من خلال أطر فكرية اجتماعية ودينية وسياسية، ما جعلهم ينشرون آراءهم من خلال مشروع نهضوي تحرري تبنوه في ضوء منهج عقلي مزج بين الأصالة والمعاصرة. وهذا بدوره أدى إلى ظهور اتجاهات فكرية اتصفت بصبغة إسلامية وشكلت حركة دينية وسياسية إصلاحية متفتحة" وكان جمال الدين الأفغاني (1849- 1902م) المؤسس الحقيقي لهذه الحركة التي نادت بالتجديد وترك التقليد وتبني مواقف متحررة من السلطة. هذا الاتجاه قد تبناه تلميذه محمد عبده* الذي، قدم بدوره مشروعا إصلاحيا منفتحا على القضايا الإسلامية المعاصرة في مختلف المجالات. وفي هذه الورقة البحثية يمكننا أن نتساءل عن الظروف الاجتماعية والفكرية التي ظهرت فيها إصلاحات الشيخ محمد عبده؟ وما هي مبررات نقده للثقافة العربية الإسلامية السائدة في مجتمعه خلال تلك الفترة؟

1 . بيئة محمد عبده الثقافية ونشاطه العلمي

أ . نشأته العلمية

نشأ الإمام في أسرة كبيرة العدد. ويقول الشيخ محمد عبده عن نشأته الأولى بأنه تعلم القراءة والكتابة في منزل والده ثم انتقلت إلى دار حافظ القرآن،

* هو محمد بن عبده خير الدين الله، ولد عام (1265هـ-1849م) في محلة نصر إحدى قرى مصر بمركز "شيراخيت" بمديرية "البحيرة" لأسرة ريفية متوسطة في دلتا النيل وأصلهم يعود إلى قرية (بني عدي) من أسيوط، أمه صعيدية أما والده فمن محلة نصر، اضطرت أسرته بسبب النزاعات المحلية إلى التنقل إلى الريف المصري سنوات عديدة قبل أن تعود للاستقرار في (محلة نصر) لكن بعد أن فقدت أملاكها وموقعها ويقال أن قرية(حصة شبشير) الموجودة في محلة نصر أنجبت رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك وطه حسين والعقاد وأم كلثوم وسعد زغلول وعلمت هذه النشأة الاعتزاز. عندما استقال الإمام من مجلس إدارة الأزهر عام 1905ساءت صحته وعزم على السفر إلى أوروبا للاستشفاء لكن القدر فاجأه فتوفي في الإسكندرية على الساعة الخامسة في 11 يوليو/تموز1905 وكان له من العمر 56 سنة ودفن بمقبرة المجاورين.

وقرأ عليه جميع القرآن أول مرة وعمره سبع سنوات، وبعد ذلك حمله والده إلى طنطا لتجويد القرآن في المسجد الأحمدي وكان ذلك سنة (1279هـ-1862م)، لكن عقم أساليب التدريس أبعدته عن طلب العلم، فعاد إلى القرية وتزوج ورغب في الأشغال كإخوته في فلاحة الأرض غير أن والده أصر على عودته إلى طلب العلم، فهرب إلى أخواله في قرية (كنيسة أورين) وهناك لقي الشيخ (درويش خضر).

كان هذا الرجل صوفي- درويش خضر- من الطريقة السنوسية، وعلى يديه فتح الله صدره لطلب العلم، وظل الشيخ يتردد عليه، وأخذ عنه المبادئ الأولى للإصلاح، وكانت دعوته تتفق مع الدعوة الوهابية في الرجوع إلى الإسلام، ببساطته الأولى وتنقيته من البدع، ثم التحق بعد ذلك بالأزهر (1866م)، فوسع من دائرة اهتماماته العلمية بعد أن درس الفلسفة والرياضيات والمنطق.

تحول مجرى حياة الشيخ عندما تعرف في 1870 على جمال الدين الأفغاني الذي كان شعلة من الذكاء والحركة، وقد بث فيه روح النقد الاجتماعي، ولازم محمد عبده حلقات درسه، وعليه تحول من موقف العزلة والتصوف إلى موقف النضال الفلسفي والاجتماعي، فكتب في الصحافة وفي الشؤون العامة وأصبح في طليعة العاملين من أجل الإصلاح[1].

بعد تخرجه من الأزهر (1294هـ-1877م) عين مدرسا للتاريخ في 1878م بمدرسة دار العلوم العليا، كما درّس بمدرسة الألسن وشرح لطلابه مقدمة ابن خلدون وعلم الاجتماع والعمران وهو كتاب ألفه ولم يصلنا وكان يكتب في السياسة مع أستاذه جمال الدين من خلال (الحزب الوطني الحر). بعد ما نفي أستاذه من مصر (1296هـ-1879م) عزل محمد عبده من التدريس إلى أن استصدر فيه عفوا فعين محررا أول في صحيفة "الوقائع المصرية" وجعل من هذه الجريدة

[1]- محمد عمارة، الإمام محمد عبده، دار الشروق، القاهرة،ط2، (1408-1988م)،ص 24-25.

الرسمية أداة للرقابة على المصالح العامة ومنبرا للنقد الاجتماعي والدعوة الاصلاحية.

كما قام الشيخ بتشجيع تلاميذه على إصدار الصحف فنجد" أديب إسحاق" أصدر جريدة (مصر) والتي كتب فيها محمد عبده والأفغاني وشجع تلميذه رشيد رضا فأصدر مجلة (المنار) واشترك مع الأفغاني في باريس في إصدار (العروة الوثقي) وفي لندن أصدر صحيفة "الاتحاذ العربي". دخل امتحان العالمية 1877م (13 جمادى سنة 1294ه) ونالها من الدرجة الثانية وكانت سنه ثمانية وعشرون عاما ولولا إصرار رئيس اللجنة (الشيخ محمد المهدي العباسي) على نجاحه لرسب، لأن بعض الأعضاء كانوا قد تواصلوا على إسقاطه لأرائه وصحبته للأفغاني، وسنة 1881م عين عضوا في المجلس الأعلى للمعارف العمومية.[2]

ب- مواقفه السياسية

جاءت الثورة العربية 1882 مفاجئة بالنسبة لمحمد عبده، لم يتوقع المطالبة "الشعب" بالحرية قبل أن ينضج الرأي العام وتعم أفكار الإصلاح فوقف ضدها في البداية ولما رأى أن الأمة وراء هذا الرجل الفلاح رمي نفسه في الثورة وأصبح من المدافعين عنها لكنه مثل في قيادتها الجناح المعتدل لكن اخفاق الثورة ودخول الإنجليز إلى مصر واحتلالهم القاهرة في 14 سبتمبر 1882 وإيداع عبده السجن ثم حكم عليه بالنفي إلى بيروت ثلاث سنوات، لتمتد فترة نفيه إلى ست سنوات ولحق بالأفغاني في باريس وأصدر العروة الوثقى في (13 مارس 1884) وصدر منها 18 عدد وعين رئيسا لتحرير المجلة ونائبا للأفغاني في رئاسة التنظيم

[2]- السيد محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده) ج1، دار الفضيلة، القاهرة، ط2،(1427ه-2006م)، ص210.

وبعد توقف المجلة وانقضاء السنوات الثلاث تغيرت نظرته وعاودته الرغبة في الاصلاح بمنهاج التربية والتعليم وإصلاح مناهج التفكير لدى المسلمين.[3]

فارق الشيخ عبده أستاذه ذاهبا إلى طرابلس الشام ثم إلى بيروت ليشتغل معلما بالمدرسة السلطانية ومفسرا للقرآن بالمسجد العمري ومؤلفا ومحققا لكتب التراث الإسلامي، فبدأ المرحلة التي تفرغ فيها للاجتهاد والتجديد حتى لقب بمهندس الحركة الإصلاحية وأصدر كتاب "رسالة التوحيد" عام 1885م ليعود 1888م إلى مصر بعد نجاح مساعي أصدقائه لدى السلطان وأبعد هنا من مهنته المحببة "التدريس" ليشغل بعد ذلك في القضاء حتى عين قاضيا أهليا قبل ان يصبح مستشارا في محكمة الاستئناف 1891م كما شارك في تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية 1892م ثم عضوا في مجلس إدارة الأزهر 1895 وأخيرا مفتيا للديار المصرية 1899م وعضوا في مجلس الشورى وقدم مشاريع متعددة لإصلاحها وأهمها إصلاح الازهر ونظام التعليم الديني وقد تعرض نتيجة ذلك لتهجمات بعض شيوخ الأزهر وفي 1900م أسس جمعية إحياء الكتب العربية، فزادت عزلته وكبر عداء الخديوي له فاضطر إلى الاستقالة من مجلس إدارة الأزهر 1905م[4]

جـ- رحلاته:

زار الإمام لندن داعيا لوجوب جلاء الإنكليز عن مصر والتقى بوزيرة العربية الإنكليزي وبعد يأسه من العمل السياسي، غادر باريس إلى تونس في 6 ديسمبر 1884م وبقي هناك قرابة الشهر وهدفه من ذلك الإطلاع على الإصلاحات التي ظهرت في تونس في عهد الوزير **خير الدين** (1810م-1890م) وتشجيع القادة والعلماء التونسيين على العمل الإصلاحي وتفعيل مجلة **العروة الوثقى** وفي

---

[3]- مفيدة محمد إبراهيم، عصر النهضة العربية بين الحقيقة والوهم، دار المجدلاوي، عمان، ط2،(1479هـ-1999م) ص 277-279.

[4]- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 282.

1885م غادر إلى بيروت على امل العودة إلى مصر ثانية ومن المقالات[5] الاجتماعية (مقالات الانتقاد) الذي كتبه في مجلة ثمرات الفنون.

بعد تونس توجه إلى الجزائر في 1903 وبقي فيها عدة أيام (27أوت-29 سبتمبر) والتقى مع العديد من مشايخها وألقى دروسا في بعض مساجدها كالجزائر وقسنطينة بعيدا عن أعين الاستعمار التي كانت تراقبه وهدف من هذه الزيارة تفقد حالة الاسلام في الجزائر والتعرف على علماء ودعوتهم إلى مواكبة حركة التجديد الديني النهضوي التي ظهرت في المشرق العربي.

بعد زيارته إلى الجزائر زار تونس مرة ثانية للإطلاع على نشاط انصاره القائمين على جامع الزيتونة والجمعية الخلدونية وفي هذه الرحلة ركز على الاصلاح التربوي والاهتمام بالعلم والابتعاد عن الخلافات السياسية.

أما المغرب الأقصى لم يزره رغم أنه قد برمجه في رحلاته إلى أن هذا لم يمنعه من الاتصال بعلمائه ومشايخه وخطط بعد ذلك لزيارته إلى انه وافته المنية قبل ذلك بأيام وكانت لهذه الزيارات نتائج عدة:

- ترسيخ دعائم الحركة السلفية في شمال إفريقيا.
- توطيد العلاقات الفكرية السلفية في شمال إفريقيا.
- إضافة إلى زيارته إلى الجزائر وتونس كانت له زيارات كل من الشام، صقلية إيطاليا وأوروبا أكثر من مرة.[6]

د - مؤلفاته:

[5]- مولود عويمر، أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، (1428هـ-2007م) ص56.

[6]- محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ج1، 1979م المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، 1979، ص706.

- "رسالة الواردات" وهي عبارة عن جزيئات بدأ الشيخ وهي في كنف السيد جمال الدين الأفغاني.
- كتاب "رسالة التوحيد" وهي بمكانتها في الدقة العلمية وبآرائه في أهم أبواب علم الكلام.
- كتاب "كلمات الإمام" كتاب مقتبس السياسة.
- شرح نهج البلاغة وشرح مقامات بديع الزمان الهمذاني.
- نشر العديد من السور القرآنية.[7]
- كتاب "في علم الاجتماع والعمران".
- شرح مقدمة "ابن خلدون".
- كتاب"الاسلام والنصرانية بين العلم والمدينة".
- العروة الوثقى مع معلمه جمال الدين الأفغاني.
- تحقيق وشرح البصائر القيصرية.
- تحقيق "وشرح دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة للجرجاني.
- كتب تقرير إصلاح المحاكم الشرعية 1899م.
- بالإضافة إلى المقالات نشرت في مجلات ودوريات علمية لتشرف عليها (العروة الوثقى) والوقائع المصرية ومنها ما هو سياسي واجتماعي وثقافي.

- أهم المقالات:

- "رسالة السير صمويل بكير في السودان".
- مصر وجريدة الجنة.
- مراسلات.

[7]- السيد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ج2، دار الفضيلة، ط2،(1427هـ-2006م) ص10-11.

- مصر والمحاكم الأهلية.
- أهم المقالات الاجتماعية:
- مقال الانتقاد.
- المقالات الثقافية:
- لائحة إصلاح التعليم العثماني.
- لائحة إصلاح القطر السوري.
- لائحة إصلاح التربية في مصر.

2 - الجانب النقدي في برنامج محمد عبده الإصلاحي:

كان محمد عبده فيلسوفا ومؤرخا ومصلحا اجتماعيا، أراد تغيير الأوضاع التي كانت سائدة في عصره نحو الأفضل،مع العلم أن مسألة الإصلاح طرحت في أوساط العرب وخاصة تفسير أسباب الجمود والتأخر التي تميز بها العرب وتحديد معاني النهضة ووسائل تحقيقها وانقسم العرب إلى اتجاهين،اتجاه دافع عن الدين معارضا لأي تأثير خارجي.في حين واجهه فريق ثان تأثر بالفلسفة الغربية فرأوا أن النهضة الغربية لابد أن تصل إلى المجتمعات الشرقية،ومحمد عبده كان من بين الرافضين لكلا الاتجاهين،فرأى أن الاتجاه الأول أهمل العلم والتقدم والحضارات،أما الثاني أهمل تجديد الدين.

هنا حاول عبده التأليف بين حاجات الإصلاح العملي وضرورات التجديد الديني واعتبر تفاعلهما الشرط الأول لبلوغ النهضة وهذا التفاعل يعتبر جوهر العقلانية الإصلاحية وأصبح الإصلاح يعني عنده العمل على المستوى النظري والعملي.[8]

[8] – طهارى محمد، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، الجزائر، المؤسسة الوطنية لنشر،ط2، 1992،ص129.

اشتهر الشيخ محمد عبده بدعوته إلى الاصلاح وإصلاحه كان يهدف إلى ثلاثة أنواع : إصلاح الدين، اللغة والدب وإصلاح السياسة. وسنتناول في هذه المداخلة جانبين هامين وهما إصلاح فهم الدين وإصلاح التعليم فالأول قائم على تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقته سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع، في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله. أما الثاني فهو إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير.

أ - نقد التقليد والجمود وفتح باب الاجتهاد:

لم يكن هدف محمد عبده انقاذ الدين بقدر ما كان فتح باب العقل العربي لاستقبال العلم وتوطينه ويمكن تلخيص برنامج الاصلاح الديني على هذا الأساس في ثلاثة مهام رئيسية:

- إثبات الجوهر العقلاني للإسلام ضد التقليديين والخصوم الحداثيين معا.
- بناء علم العقيدة على أسس عصرية، أي تتفق مع معطيات العصر.
- إصلاح التعليم كي يتاح لهذا التصور العقلاني أن ينتشر على أوسع نطاق.[9]

وفي سبيل تحقيق ذلك عمل على نقد الثقافة الدينية السائدة في عصره، واعتبر أن مصدر التشويهات التي لحقت بالإسلام جهل الحكام واتساع نفوذ الطرق الصوفية وسيطرتها على عقول العامة وتحويلها الدين إلى طقوس تحث على الدروشة وتقديس الأولياء والاتكالية مع ترك العمل والجهد ثم استسلام العلماء أمامها، وكان يعتبر الدين هو الحافز الرئيسي عند الأمم للعمل، وهو المصدر الأساسي للوحدة والتعاون الذي يعتبره محمد عبده السند الأساسي لتطور المجتمعات ونهضتها وضد مستعبديها.

لكن الجهد الأكبر في إصلاحه الديني كان تفسيره للقرآن الذي لم يتسن له إكماله، وهو أول تفسير عصري تجاوز الطرق التقليدية ويبتعد عن التفاسير

[9]- طهارى محمد، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ص ص17،18.

القديمة فأنتقد تفاسير الفقهاء واتهمها بالنقل، واعتبر أنه يجب الربط بين التأويل وحاجات المجتمع الروحية والأخلاقية والاجتماعية، كما أكد على ضرورة استخدام العقل الذي هو قوة من أفضل القوى الانسانية لتحقيق الفهم الصحيح. ونجد أن الإصلاح الديني له أساسه ومنطلقه، فإصلاح فهم العقيدة كان جوهر مشروعه. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه تأثر بشكل غير مباشر في صياغة رؤيته الاصلاحية هذه، بحركة الإصلاح الديني البروتستانتية وكان ذلك عن طريق أستاذه جمال الدين الأفغاني 1897م الذي كان معجبا بها لدرجة أنه اعتقد أنه لا نهوض للأمة الاسلامية إلاّ بالثورة على سلطة المحتكرين لتفسير القرآن.

بالرغم من تأثره محمد عبده بحركة الإصلاح إلاّ أنه احتفظ لنفسه بحق قراءتها قراء نقدية،وبذلك استطاع الوقوف على بعض عيوبها،ففي كتابه **الاستلام والنصرانية بين العلم والمدنية** نقد مواقف الكنيسة التي تحكم بعقوبة الموت على كل من يخالفها[10]

أما إصلاح التعليم الديني فأساسه إصلاح الأزهر فبقاؤه متداعيا على حاله في هذا العصر محال فهو إما أن يعمر وإما أن يتم خرابه وإنني أبذل المستحيل في عمرانه.[11] وكان إصلاح البرامج وتنظيم التربية، يهدف إلى صرف أنظار الطلبة عن ما يوجد الكتب الفقهية المكررة، يث ويقول **"الناس تحدث لهم باختلاف الزمان أمور ووقائع لم ينص عليها في هذه الكتب فهل نوقف سير العالم لأجل كتبهم؟ هذا لا يستطاع "** واستصدر قانونا للإصلاح 1896م جعل للأزهر أطباء وصيدلية وألزم مصلحة الصحة برعاية الظروف الصحية فيه وفي مساكن التلاميذ فزادت مراتب الشيوخ ومرتباتهم وثبتت بعدما كانت تزيد وتنقص ووضع نظام للاستحقاق الدرجات وكسوة التشريفات وأصبح التلاميذ يحضرون الدروس ويدخلون الامتحان وانتقل اصلاحه إلى العلوم ودروس الحساب والجبر والمقابلة والتاريخ

[10]–محمد عبده، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، دار موفم للنشر والتوزيع، 1987، ص98.

[11]– محمد عبده، المصدر نفسه، ص12–13.

والجغرافيا وارتفع مستوى الدروس وأصبح مجلس الإدارات ينعقد بإنتظام في الرواق العباسي بالأزهر وألحق المعهد المحمدي ومعهد دمياط والإسكندرية بالأزهر وجاء بكتب جديدة وعديدة لتدرس في الأزهر"رسالة التوحيد" أهمها.

ب – نقد البرامج التعليمية القديمة وإحداث برامج تنهض بالأمة

بعد الإصلاح الديني اتجه محمد عبده إلى الهدف الأكبر في برنامجه وهو إصلاح التعليم، ولذلك وضع لوائح الاصلاح فيه في كل من سوريا والدولة العثمانية ومصر ورأى أن التعليم ميدان للحصول على الشهادات لا وسيلة لتكوين طلبة ليكونوا رجالا صالحين يحسون القيام بالعمل الذي يفوض إليهم فليس في المدارس الحكومية شيء من المعارف الحقيقية ولا من التربية الصحيحة وطريقة التعليم قائمة على الحفظ تفسد ثمراته.

كما ذكر الامام أن اصلاح التعليم يتم بتوحيد وتجاوز الخلاف بين مدارس دينية ورسمية وأهلية وأجنبية بتعميم التربية على أوسع نطاق ويراعى في ذلك طبقات مختلفة:

الطبقة الأولى: تختص بتدريس أصحاب الصناعة والتجارة والزراعة.

الطبقة الثانية: بتأهيل لرجال السياسة والدولة وضباط العسكر.

الطبقة الثالثة:طبقة العلماء من اهل الارشاد والتربية أي المدرسين في كل المستويات.

ودعا إلى حصر مهنة التعليم في البلاد بخريجها وإعطائهم حق التدريس في الأزهر نفسه أما فيما يتعلق بطرق التدريس ذكر أنه على المدرس أن يفتح للطالب النظر بنفسه في العلوم، فيبين له القاعدة مثلا،ثم يطالبه بما يراه في انطباقها على جزئياتها في العمل، فإنه إذا عوّده على أن يقول له كل شيء وأن يقوده في كل أمر، وقف ذهنه عند حد الإتباع،وصعب عليه أن يحقق شيئا بنفسه [12].وتعرض

[12]– محمد عمارة، الأعمال الكاملة لإمام محمد عبده، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ص ص 108- 109.

إلى أهمية التربية وعول في اصلاحه على المؤسسات التربوية والتعليم فذكر أنه بهما يتوقف كل شيء قال التربية الدينية هي الموصلة إلى العمل للأمة ويرى أن اكتساب وتحصيل المعارف بدون التربية الأخلاقية التابعة من التعاليم الاسلامية لا تؤدي بالأمة إلى غير القلق.

واهتم بمسألة اللغة العربية وقال:"**إن اللغة العربية في حاجة إلى اصلاح آخر فوق اصلاح التعليم لفنونها وأدبها ، وإتقان الكتابة والخطابة فيها وهو ما فعله الفرنسيون وغيرهم من تأليف المجامع ووضع المعاجم اللغوية وتاريخ تطور اللغة وما دخل فيها من اصطلاح ومعرب وغيره، والمعاجم العلمية وفلسفة البيان والانتقاء وغير ذلك**" ثم اصلح أسلوبه بالابتعاد عن الأساليب القديمة وأنشأ جمعية إحياء العلوم العربية سنة 1899م. وقام بنفسه بنقد وتحقيق كتب عديدة منها:

- فتوح الشام الذي شكك بنسبة إلى الواقدي.
- وحقق في كتاب أسرار البلاغة للإمام على رضي الله عنه. ودلائل الإعجاز للجرجاني وفي الفقه مدونة الإمام مالك وغيرها من أمهات الكتب.[13]

3- أهمية المشروع النقدي والإصلاحي للشيخ محمد عبده

قدم محمد عبده مع غيره من زعماء الإصلاح مساهمة كبيرة ومباشرة تركزت على تكوين الرأي العام وتفتيح بصيرته على المشكلات الأساسية التي ينبغي عليهم مواجهتها وإذا كان محمد عبده لم يحصد ثمار عمله كما توقع وتفككت حركته بنجاح الدول الأوروبية في وضع يدها بشكل عام على البلاد العربية، حيث تجاهلوا إصلاحه في الدين لم يكن أعظم أثرا أما من الناحية السياسية لم يختلف عن الآخرين حيث دعا إلى الأخذ بأسباب الحضارة العربية من وجهة نظر ليبرالية كما أن تأثره بأستاذه وميوله لم يكن جذريا.

[13]- محمد عمارة، الإمام محمد عبده، ص270.

لكن فشله في جعل أفكاره أساسا لنهضة حضارية، لم يمنعها من أن تصبح مصدر للإصلاح ثقافي وفكري وسيبقى أثره خاصة بعد فشله السياسي ومن ناحية قدم فكرة للثقافة العربية حيث جنبها الجمود العقيم والانسياق وراء التقليد، من جهة أخرى نجده ذكر أن التعايش بين العلم والدين جوهري وهم المبدأ الوحيد الذي يسمح للثقافة العربية أن تستمر حيث نجد محاولته[14] كانت رائدة، لذا يتضح دور محمد عبده لم يكن فقط في الإجابة عن تساؤلات عدة، بل في وضع منافذ للفكر العربي لينفتح منها على تيارات ومذاهب قد تظهر في عصور لاحقة.

ومن نتائج المشروع النقدي والإصلاحي :

أن إصلاح التعليم بدأ يؤتي ثماره بما يخرجه من علماء قادرين على فهم التراث ومواكبة العصر، وكذا الثورة الأدبية والصحفية التي أثْرت الحياة الفكرية والأدبية في النصف الأول من القرن العشرين في صحف عديدة على أيدي كوكبة من الكتاب أمثال: **عباس العقاد، وسيد قطب، وطه حسين**. وأصبحت للحركة الإسلامية المعاصرة مكانتها، ويعد **رشيد رضا** صاحب مجلة المنار أهم روادها.

خاتمة

إن البرنامج الذي قدمه الشيخ محمد عبده يعد مشروعا نقديا إصلاحيا ذو طابع ديني،وإن اتخذ مفهوم المنهج العقلي، فسخر أعماله لتبديد الأوهام والخرافات، والقضاء على ملامح الظلم والاستبداد الذي شهده المشرق العربي طويلاً،فقد دعا إلى التمدن والتقدم والحرية،بمنهج عقلي سديد لا يتعارض مع مقومات الشريعة الإسلامية.

ومهما يكن فإنه قد ساهم في تحرير الإنسان العربي من جهله وتخلفه وفقره، لينطلق إلى آفاق العلم والتقدم والسعادة والحرية، فقد مهدوا الطريق إلى التقدم والإعتاق في ضوء المعرفة العقلية الإيمانية، بخاصة أن مفكري عصر

[14]- محمد عبده، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، ص ص 18- 19.

النهضة قد مارسوا فعل التواصل الحضاري في إطار من التفاعل والانفتاح الفعال، لا الانفتاح السلبي، إذ أخذوا بأسباب الحضارة لا بجزئياتها أو تفصيلاتها.

المصادر والمراجع

. أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت.

. طهارى محمد، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر، ط2، 1992.

. محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده) ج1، دار الفضيلة، القاهرة، ط2، (1427هـ-2006م).

. محمد عبده، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، دار موفم للنشر والتوزيع، 1987.

. محمد عمارة، الأعمال الكاملة لإمام محمد عبده، ج1،ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979.

. محمد عمارة، الإمام محمد عبده، دار الشروق، القاهرة، ط2، (1408-1988م).

. مفيدة لمحمد إبراهيم، عصر النهضة العربية بين الحقيقة والوهم، دار المجدلاوي، عمان، ط2،(1479هـ-1999م).

. مولود عويمر، أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، دار الخلدونية، الجزائر، ط1،(1428هـ-2007م).